

﴿وَأَنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: 111]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

الحكمة من
تأخير العذاب
هو الفتنة
للمنكرين

ذُكر في آية سابقة عدم علمه ﷺ بموعد الحساب ومتى يقع، وأن ذلك لا يكون إلا بعلم الله وبحكمته سبحانه، فناسب في هذه الآية أن يذكر الرسول ﷺ حكمة الله من تأخير العذاب؛ فلعله الفتنة للمنكرين، ليمدّهم في طغيانهم، فيكون ذلك فتنة لهم ومتاعاً إلى حين لا يعلمه إلا الله سبحانه.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿فِتْنَةٌ﴾: أَصْلُ الْفِتْنَةِ مِنَ الْفَتَنِ، وَهُوَ الْإِحْرَاقُ ⁽¹⁾، يُقَالُ: فَتَنْتُ الذَّهَبَ، أَي: أَحْرَقْتُهُ بِالنَّارِ؛ لِتَمْيِيزِ الْجَيِّدِ مِنَ الرَّدِيِّ، وَيُسَمَّى الصَّائِغُ: الْفَتَّانَ، وَكَذَلِكَ الشَّيْطَانُ ⁽²⁾، وَالْفِتْنَةُ: الْكُفْرُ ⁽³⁾، وَالْعَذَابُ، وَالْبَلَاءُ، وَالْإِبْتِلَاءُ ⁽⁴⁾، وَالْإِخْتِبَارُ ⁽⁵⁾، وَمَا يَقَعُ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الْحُرُوبِ ⁽⁶⁾، وَالْمُرَادُ بِالْفِتْنَةِ فِي الْآيَةِ: اخْتِلَالُ الْأَحْوَالِ الْمَفْضِي إِلَى مَا فِيهِ مَضَرَّةٌ ⁽⁷⁾.

(2) ﴿وَمَتَعٌ﴾: أَصْلُ الْمَتَعِ: بُلُوغُ الْغَايَةِ مِنَ الشَّيْءِ، يُقَالُ: مَتَعَ النَّهَارُ يَمَتِّعُ مَتْعًا أَي: بَلَغَ غَايَةَ ارْتِفَاعِهِ، وَالْمَتَاعُ: الْجَيِّدُ الْبَالِغُ الْجَوْدَةِ ⁽⁸⁾، وَالْمَتَاعُ فِي الْأَصْلِ: كُلُّ شَيْءٍ يُسْتَفْعَ بِهِ وَيُتَبَلَّغُ بِهِ وَيُتْرَدُّ؛ وَالْفَنَاءُ يَأْتِي

(1) الخليل، العين: (فتن).

(2) ابن منظور، لسان العرب، وجبل، للعجم الاشتقاقي المؤصل: (فتن).

(3) ابن سيده، المحكم: (فتن).

(4) الخليل، العين: (فتن).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (فتن).

(6) ابن عباد، المحيط في اللغة: (فتن).

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 174 / 17.

(8) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (متع).

عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا⁽¹⁾، وَالتَّمَتُّعُ: الإِمْهَالُ، وَأَيْضًا: التَّعْمِيرُ، وَمَنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۖ﴾ [الشعراء: 205]، أَي: أَطْلَنَّا أَعْمَارَهُمْ⁽²⁾، وَالْمَقْصُودُ بِالْمَتَاعِ فِي الْآيَةِ: مَا يُتَمَتَّعُ بِهِ فِي الدُّنْيَا مُدَّةً قَلِيلَةً.

(3) ﴿حِينَ﴾: أَصْلُ الْحَيْنِ الزَّمَانُ، فَالْحَيْنُ الزَّمَانُ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ⁽³⁾، قَالَ الرَّاعِبُ: الْحَيْنُ وَقْتُ بُلُوغِ الشَّيْءِ وَحَصُولِهِ، وَهُوَ مُبْهَمٌ الْمَعْنَى، وَيَتَخَصَّصُ بِالْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَمَنْ قَالَ: (حَيْنٌ) تَأْتِي عَلَى أَوْجِهٍ: لِلْأَجَلِ، وَالسَّنَةِ، وَلِلسَّاعَةِ، وَلِلزَّمَانِ الْمُطْلَقِ، فَإِنَّمَا فَسَّرَ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا وَجَدَ وَعَلَّقَ بِهِ⁽⁴⁾، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْحَيْنُ حِينَانِ، حَيْنٌ لَا يُوقَفُ عَلَى حَدِّهِ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ، وَحَيْنٌ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم: 25]، وَهَذَا مَحْدُودٌ لِأَنَّهُ سِتَّةُ أَشْهُرٍ⁽⁵⁾، وَالْمَقْصُودُ بـ ﴿حِينَ﴾ فِي الْآيَةِ: الْقَدْرُ الْمَحْدُودُ مِنَ الزَّمَنِ.

❖ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِي:

قُلْ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ لَهُمْ: فَإِنْ تَأَخَّرَ عَذَابُكُمْ، فَمَا أَدْرِي سَبَبَ ذَلِكَ وَحِكْمَتَهُ، لَكِنْ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ، فَتَزِدَادُ سَيِّئَاتِكُمْ، وَتَتَمَتَّعُونَ قَلِيلًا فِي حَيَاتِكُمْ إِلَى وَقْتٍ مُعَيَّنٍ، ثُمَّ يَأْتِيكُمْ الْعَذَابُ⁽⁶⁾.

تأخير العذاب
فتنة للظالمين

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

دلالة الواو في قوله: ﴿وَإِنْ أَدْرَى﴾:

(الواو) في قوله: ﴿وَإِنْ أَدْرَى﴾ حرف عطفٍ للجمع، عطفَ قوله: ﴿وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَتَمَتَّعَ إِلَى حِينٍ﴾ على جملة: ﴿وَإِنْ أَدْرَى

جمع المعاني
للمؤذبة إلى الإنذار
والتخويف

(1) ابن منظور، لسان العرب: (متع).
(2) الزبيدي، تاج العروس: (متع).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (حين).
(4) الراغب، المفردات: (حين).
(5) الفراء، معاني القرآن: 2/ 45.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 442، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 388، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 174، 175.

أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ؛ وهو بهذا العطف جمع بين قضيتين غيبيتين لا يعلمهما إلا الله سبحانه، هُما بمجموعهما يدلان على معنى التحذير من غضب الله، والإنذار من وقوعه عليهم، وهو في كل الأحوال نقمة على الكافرين؛ سواءً تعجل أو تأخر.

سرّ النفي بـ (إن) دون (ما) في قوله ﴿وَإِنْ أَدْرَى﴾:

نفي الدّراية
عن رسول الله
بمآلات
المعاندين

استعمال (إِنْ) آكَدُ في النّفي من (ما) لاقترانها الكثير بـ (إِلَّا) التي تقيد الحصر، وإذا دخلت (إِنْ) على الفعل المضارع كانت في الغالب لنفي الحال، كما في قوله هنا: ﴿وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ وَفِتْنَةً لَّكُمْ﴾، ويؤكد قوّة (إِنْ) في النّفي الاستعمال القرآني لها في مواضع يستدعي السياق فيها زيادة توكيد النّفي.

سرّ التعبير بـ (لعل):

الإشفاق على
المخاطبين

تأتي لعل لتوقع شيءٍ محبوبٍ أو مكروه، فالمحبوبُ يسمّى ترجياً أو إطماعاً، والمكروهُ يسمّى إشفاقاً، وفي قوله: ﴿وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ وَفِتْنَةً لَّكُمْ﴾ هو من قبيل الإشفاق لا التّرجي، فرسول الله ﷺ أشدّ رحمةً بالنّاس منهم على أنفسهم، ويمكن أن تتجرّد (لعل) لمطلق التّوقع كقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ [هود: 12] (1).

دلالة التّعبير بالإضمار في ﴿لَعَلَّهُ﴾ دون الإظهار:

الفتنة
للمخاطبين
في تأخّر قدوم
الوعيد

الإضمار في قوله: ﴿لَعَلَّهُ وَفِتْنَةً لَّكُمْ﴾ هو من قبيل الإيجاز؛ إذ استغنى عن ذكر عدم معرفة ميعادٍ ما يوعدون به لتقدّم ذكره في قوله ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾، فلا مقتضى لتكراره، ولشموله حالتي القرب أو البعد التي يبيّنها في قوله: ﴿أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ﴾.

دلالة تنكير ﴿فِتْنَةً﴾:

تعظيم شأن
الفتنة والوعيد
بها

تنكير ﴿فِتْنَةً﴾ في قوله: ﴿لَعَلَّهُ وَفِتْنَةً لَّكُمْ﴾ دلّ على التّعظيم

(1) السيّد الجرجاني، حاشية على الكشّاف: 177/1.

من شأنها وتحذيرهم من الوقوع فيها، وطلب العود إلى الرّشد وإلى الإيمان، فالعبدُ في حال اختبارٍ وابتلاءٍ بالخير والشرِّ، فينبغي أن يردّه كلُّ ذلك إلى ربّه ﷻ.

دلالة الواو في قوله ﴿وَمَتَّعْ﴾:

قوله: ﴿وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ﴾؛ الواو حرف عطفٍ للجمع، فتكون الفتنة والمتاع مُمْتَزَجَتَيْنِ معًا، فمهما نالوا من المتاع في هذه الدنيا، فإنَّ ذلك فتنةٌ لهم، وقد يكون فيه إملاءٌ للظالم ليبقى في غفلته.

الابتلاء قد يكون
بالخير كما يكون
بالشرِّ

دلالة التعبير بالاسم ﴿وَمَتَّعْ﴾ دون الفعل:

التعبير بالاسم في ذكر (المتاع) في قوله: ﴿لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَّكُمْ وَمَتَّعْ﴾؛ فائدته بيان الثبوت وعدم التّغير، فإنَّ تأخير العذاب لفترةٍ من الزّمن وإلى حينٍ غير مسمّى فيه متاعٌ تستقرّ به النّفوس وتطمئنُّ به القلوب، فلا يُحسّون أو يستشعرون خطر ما يتربّص بهم من العذاب والفجأة التي تبهّتهم إن حان وقتها، وأذن لها الله بالحلول.

استقرار النّفوس
الضعيفة على
متاع الدّنيا

دلالة التعبير بالظرفية ﴿حِينَ﴾:

قوله: ﴿وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ﴾؛ أي: وتمتّع لكم وتأخيرٌ إلى أجلٍ مقدّر، والتّعبير بالظّرف ﴿حِينَ﴾ منكرًا يدلُّ على القرب، فمهما تأخّر فهو آتٍ، وكلُّ آتٍ قريبٌ، ففيه تهديدٌ بانقضاء ما تعلّقت به نفوسهم مع كونه متاعًا يشبه ما يتمتّع به المسافر، فيكون المتاع حقيرًا وزمنٌ بقائه قليلًا حقيرًا.

المتاع القليل في
الدّنيا

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 34، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-76-1

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 34: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-76-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15 م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النजार»